

ترجمات | Translations

عُلُومُ الدِّينِ وَعُلُومُ الْإِنْسَانِ: أعمالُ ميرسيا إلياد⁽¹⁾ (1907-1986)

**The sciences of religion and the human sciences:
the works of Mircea Eliade (1907-1986)**

جوليان رِييس⁽²⁾ Julien Ries

ترجمة

بوجاوي ناصر الدين⁽³⁾ Boudjaoui Nacer-Eddine

بوزيدي نعيم⁽⁴⁾ Bouzidi Naim

(1) Ries Julien. Science des religions et sciences humaines. L'œuvre de Mircea Eliade (1907 - 1986). In: Revue théologique de Louvain, 17^e année, fasc. 3, 1986. pp. 329 - 340.

DOI : <https://doi.org/10.3406/thlou.1986.2194>

Zur Struktur der Yusuf-Sure", in W. Diem and S. Wild, ed. Studien aus Arabistik und Semistik. Anton Spitaler zum

(2) جوليان رِييس Julien Ries هو قسيسٌ كاثوليكيٌّ من بلجيكا يُعتبر عالمٌ أنثروبولوجيا ومؤرخٌ أديانٍ يتمتع بشهرةٍ عالميةٍ وهو بروفيسور في جامعة لوفان ومؤسسٌ لمركزٍ تاريخ الأديان في ذات الجامعة. وتعود شهرته لتطوره فكرة "الإنسان الديني" Homo religiosus داخل الأنثروبولوجية الدينية. ولد في أبريل عام 1920 وتابع دراسته في اللاهوت طيلة 4 سنوات في السنوات الإعدادية للكهنوت وعين قسيساً في 1945 وواصل دراسته العليا في اللاهوت والدراسات الشرقية، فأحرز شهادة الليسانس في اللاهوت عام 1948 وفي الفيلولوجيا وتاريخ الشرق عام 1949. في عام 1956 حاز على شهادة الدكتوراه في اللاهوت ثم أصبح أستاذاً للمسيحية الكاثوليكية ولقد طوّر أنثروبولوجيا أساسية للدين anthropologie fondamentale de la religion وأصبح يشتهر بعبارة المنهورة التي تذهب إلى أن الكائن الإنساني في أصله متدينٌ l'être humain est dès l'origine religieux ولقد ألف ما يقرب من 680 مؤلفاً بين مقالٍ ومصنّفٍ في ميدان تاريخ الأديان. كما ترجمت أعماله إلى لغات العالم ولقد كرمته الأكاديمية الفرنسية بعدما اقترح لفي شتراوس نفسه منها ذلك على أعماله باللغة الأهمية. من أعماله باللغة الفرنسية: التعبير عن المقدّس في الأديان الكبرى (في ثلاث مجلدات)، وأيضاً كتاب: الإنسان والمقدّس. وأيضاً كتاب بعنوان: ثوابت المقدس: الرمز والأسطورة والطقس. وله كتاب آخر بعنوان: الإنسان الديني واختباره للمقدّس: قدحٌ لأنثروبولوجيا دينيةٍ جديدةٍ. وله كتاب آخر بعنوان: أصول الأديان. وكتبه أما باللغة الإيطالية فله تصانيف كثيرة تذكر منها: التاريخ المقارن للأديان والتأويلية (في 6 أجزاء). وله كتاب آخر بعنوان: علم الأديان (في 5 أجزاء). وله أيضاً كتاب بعنوان: الأسطورة والطقس (في 4 أجزاء).

(3) باحثٌ جامعيٌّ متخصصٌ في الفلسفة الغربية في المدرسة العليا- الجزائر. البريد الإلكتروني: boudjaouinacereddinephil@gmail.com

(4) باحثٌ جامعيٌّ متخصصٌ في المنطق وفلسفة العلوم- جامعة الجزائر.

مقدمة

وَعُودُ الْعَيْدِ الرَّبِيعِيِّ وَالْخَرِيفِيِّ⁽¹⁾⁽²⁾. لقد جعلَ منه مُصُوله لكلِ حقولِ المعرفةِ، علاوةً على اهتمامه بالسلوكِ البشريِّ، إضافةً إلى مُخيلتهِ المبدعةِ المشدودةِ الوَثاقِ إلى التقصيِّ الدَّعوبِ عن الحقيقةِ، فُصلاً عن موهبةِ الكاتبِ [التي ينعمُ بها]، بينما كانَ يباشِرُ تكوينهَ الجامعيِّ في بوخارست، مثقفاً شاباً مشهوراً في كلِّ أقطارِ رومانيا. في واقع الأمرِ لما بلغَ من العمرِ ثمانيةَ عشرَ سنةً كانت له قائمةٌ مراجعٌ تحتوي على مئاتِ العناوين.

إنَّ الاهتمامَ الذي ما انفكَّ يتزايدُ من لدنِ إيلادِ بتاريخِ الفكرِ البشريِّ وَجَّةَ [نظَره] صوبَ أحدِ الأساتذةِ ذائعيِّ الصَّيتِ في بوخارست، إنَّه ناي يونسكو Nae Ionesco الذي أنجزَ تحتِ إشرافه إجازةً في الفلسفةِ سنة 1928. صادفَ خلالَ أسفاره إلى إيطاليا الكثيرَ من مُؤرِخي الأديان، ومن بينهم من الواجبِ الإشارةَ إلى رفائيل بيتازوني Raffaele Pettazoni وإرنستو بونايووتي. Ernesto Buonaiuti.

اكتشفَ أثناءَ إقامتهِ الدراسيةِ في روما في آذار 1928 مُصنِّفاً قراءتهُ وجهتُ حياتهُ على نحوِ حاسمٍ: تاريخُ الفلسفةِ الهنديةِ History of Indian Philosophy [لمُصنِّفه] سوريندرانات داسغوبتا Surendranath.Dasgupta وفي 20

(2)(*) عبارة عن مذكرة يحكي فيها إيلادُ عن طفولته أثناء الحرب الكبرى وعمَّا اختبره في الثنوية وصادقاته الأولى وميله الذوقي إلى العلوم الطبيعية والفلسفة والأدب. وقد نشرت المذكرة في دار نشر فرنسية عريقة وهي بهذا العنوان:

M. Eliade, Mémoire I, 1907-1937. Les promesses de l'équinoxe, Paris, Gallimard, 1980.

قضى ميرسيا إيلاد نحبَه في مقاطعة شيفاغو يوم 22 من نيسان 1986 وقد كانَ على أهبة الاستعداد لإنجازِ المُجلدِ الرابعِ من [مؤلفه] **تاريخِ المعتقدات والأفكار الدينية**. وفي كانونِ الأولِ نشبَ حريقٌ أتى على مكتبه في جامعة شيفاغو وتعرَّضتِ العديدُ من مخطوطاته للتلف. على الرغم من ذلك، فإنَّ هذا الفقدانَ، بالنسبة لعلوم الأديان، كما يبدو ليس مما يتعدَّرُ تعويضه⁽¹⁾ طالماً أنه محصورٌ [بفقدان] الألفوصاتِ غيرِ مكتملةٍ ولمذكرةٍ يوميةٍ تعودُ لسنة 1883.

شبابه وتكوينه

كانَ فسقظَ رأسه في بخارست يوم 9 من آذار، وكانَ ابنُ ضابطٍ في الجيشِ الرومانيِّ، ولقد قدَّم مذ سنواته في الثنوية لَمحةً عن [مذكرته]

(1) ملاحظات عامة من المترجم

يشيرُ الفوسان المعقوفان في المتن [] إلى إضافة قام بها المترجم إما من أجل جعلِ المعنى في غاية الوضوح وإما لكي تكون العبارة من حيث التركيب أقرب إلى اللسانِ العربيِّ وبلاغياته وأبعد عن العجمة. كما تشير النجمة * في المتن والهاميش إلى توضيحاتٍ جديدة من المترجم لبعض المفردات والعبارات في النصِّ المترجم منه وتشيرُ أيضاً إلى بعض المقاطع المهمة التي نقلها من النصِّ الفرنسيِّ المترجم كي يتمكَّن القارئ العربيُّ من أن يكونَ أكثرَ قرباً من روح النصِّ وتارةً أقترحُ ترجماتٍ أخرى جديرة بالإضافة كي لا يبقى غموضٌ في ذهنِ القارئ. وأما باقي التهميشات فهي من مؤلِّفِ المقال. أضف إلى هذا جميعه اضطرَّ المترجمُ بين الفينة والأخرى إلى ترجمة بعض المفردات والمصطلحات باستخدام مفردتين مقابل مفردة أو مصطلح أجنبي واحد كي يعتر أحسن تعبير عن أهم الدلالات بالغة الأهمية التي تنطوي عليها المفردة أو المصطلح الأجنبي.

*Irréparable.

معناه ما يتعدَّرُ إصلاحه أو ما لا يقبل التعويض.

اختار إِيَادُ المَنفى واستقرَّ به الأُمُرُ في باريس. ولكي يَعْتاشَ كَانَ يُلْقِي دُرُوسًا في المدرسةِ التطبيقيةِ للدراساتِ العُلُيا وكذلك مُحاضراتٍ في معاهدَ متعددةٍ في أوروبا الشرقية⁽⁴⁾. شرَع، وهو يواصلُ كتابةً مُصَنَّفَاتٍ أدبيةً - قصصًا وأقصوصاتٍ -، في استكشافِ وتفحصِ الوثائقِ النقشيةِ والحفريةِ والأدبيةِ والفنيةِ الوفيرةِ وكذلك الأبحاثِ العديدةِ في حقلِ تاريخِ الأديانِ.

لقد أقامَ إِيَادُ الأيديولوجياتِ السلبيةِ للقرنينِ التاسعِ عشرةِ والقرنِ العشرينِ في موضعٍ يُعارضُ وَيَعاكِسُ التراثَ الدينيَّ للإنسانيةِ الذي يمتدُّ من العصرِ الحجريِّ القديمِ إلى أيامنا هذه. ولقد استهلَّ إِيَادُ قِصصَ شُبابه بهذه الجملة: «في مُنعطفِ طريقِ ما أَلْفَيْتُ نَفْسِي وَجَهَا لوجهِ أَمَامِ اللَّهِ»⁽⁵⁾. شيئًا فشيئًا تَوَضَّحَ وتَجَسَّدَ لديه هذا الحَدَسُ. يُمَيِّزُ إِيَادُ بينَ أنموذجينِ من البشرِ: الإنسانَ الدينيَّ والإنسانَ اللادينيَّ. فالإنسانَ الدينيَّ «يعتقد دائمًا بوجودِ واقعٍ مُطلقٍ، من حيثُ هو مُقدَّسٌ. يتعالَى عن هذا العالمِ»⁽⁶⁾ بيدَ أنه فيه يتجلَّى. ولذلك يُقدِّسهُ ويجعلُهُ واقعياً⁽⁷⁾.

(4) Plus tard, en 1956, il accepta l'offre d'une chaire de Visiting Professor à l'Université de Chicago. En 1957, Chicago lui confia la chaire d'histoire des religions, qui, depuis quelques années, est devenue la «chaire Mircea Eliade».

(5) (*) «Au détour d'un chemin, je me suis trouvé nez à nez avec Dieu».

(6) (*) «الحياة الدنيا».

(7) (*) «L'homme religieux «croit toujours qu'il existe une réalité absolue, le sacré, qui transcende ce monde-ci, mais qui s'y manifeste et, de ce fait, le sanctifie et le rend réel».

من أيلول 1928 رَكِبَ البَحْرَ مُتَجِّهاً إلى الهِنْدِ. وجمَع في غضونِ ثلاثِ سنينِ، تحت إشرافِ داسغوبتا، عَدَدًا غَفيرًا من الوثائقِ المرجعيةِ ابتغاءً تَأليفِ أطروحةِ دكتوراهِ مُكرَّسةٍ لليوغا. إنَّ أبحاثه، في الواقعِ، لتشملُّ حُقولًا عدَّةً من الفكرِ الهِنديِّ. وتهيَّأتُ له في غضونِ إقاماتِهِ الطويلةِ في أُشْرَاقَاتِ⁽³⁾ مشهورةٍ فُرْصَةً تَدَاريسِ مبادئِ وتعاليمِ الفكرِ الهِنديِّ المعاصرِ. وانخرطَ في أوْبِيتهِ إلى أوروبا في جامعةِ بوخارست بوصفه مُساعدًا لِنَاي يونسكو Nae Ionesco. نُشِرَ في عامِ 1936، رسالتهُ للدكتوراهِ المعنونةِ بـ: **اليوغا. محاولةٌ في أصلِ التصوفِ الهِنديِّ**، وهو مُصنَّفٌ يظنُّ، لحدِّ الساعةِ الراهنةِ، مَسْلُكًا لامندوحةٍ عنه لمن يرغبُ في مُدارسةِ الفكرِ [الخاص] بالهند.

لقد جاءتِ الحَرْبُ لتنكسَ حياةَ ميرسيا إِيَادِ وتربِكَها. وفي سنةِ 1940 عَهدتُ إليه الحُكومةُ الرومانيةُ منصبَ مُلحقٍ ثقافيٍّ في لندن وبعد ذلك في ليشبونة بدءً من 1941. غداةَ أحداثِ [1945] سقطتُ رومانيا تحتَ سيطرةِ النظامِ الشيوعيِّ. وشهدتُ [إثر ذلك] أعمالَ ثأرٍ واضطهاداتٍ دينيةٍ وملاحقةً للمثقفين.

(3) (*) المصطلح هو أشْرَاقَاتِ جمع كلمة أشْرَمِ āshrama أو āshrama وباللغة السنسكريتية نقول āshrama وهي عبارة عن مكان الخلوة في الهند العتيقة المكرَّس للاعتكاف والزهد سواء كان هذا المكانُ غابةً أو جبلًا حيثُ ثمة صعوبةٌ وشظفٌ في العيش وهو مكانٌ يسعى فيه الحكيمُ الزاهدُ إلى التَوَحُّدِ مع الله في سَكينةٍ وسلامٍ داخليٍّ بمعزَلٍ عن صخبِ العالمِ الخارجي، إنه إذن مكانٌ للتخليةِ والتخليةِ الصوفيةِ وفضاءٍ للتكفيرِ عن الذنوب، بيدَ أن الكلمةَ ذاتها تستخدمُ أيضًا للتعبيرِ عن تكوينِ رُوحِيٍّ على يدِ زعيمِ رُوحِيٍّ طلقَ عليه اسمُ الغورو Guru حيثُ يلتفُّ حوله مريدون كبارًا وصغارًا و يمكنون عنده لمتابعةِ تعاليمه الروحيةِ.

فهذا الأخير [أي الإنسان] هو من يتواجد في قلب الدراسات المتعلقة بتاريخ الأديان. وحينئذ يُؤلف استكشاف وتفحص الفكر والوعي والسلوك والخبرة لدى الإنسان الديني الغاية القصوى من عمل مؤرخ الأديان. كتب إلياد بعد [مضي] سنين عشر من نشر **مصنّف في تاريخ الأديان**، أن تاريخ الأديان يتغي «التعرّف على حضور المتعالى في الخبرة البشرية»^{(11)*} «(12)». مثل هذا المنظور يَمْضي أبعد من الدراسة التاريخية والفينومينولوجية. إنّه عن مُجازفة ينخرط بحزم وثبات في تأويل رسالة الإنسان الديني، ونتيجة لذلك، يُنزل علم الأديان منزلة جَرِّ الأساس للعلوم الإنسانية.

الإنسان الديني العتيق

حَمَل اكتشاف وتحرّي سلوك وخطاب ووعي الإنسان الديني مَدْ 1950 إلياد على الالتفات إلى الشعوب الشفوية من حيث همّ أشهاد أحياء على الأصول^{(13)*}. لقد أفضى به التقاءه بكارل غوستاف يونغ C.G. Jung إلى إِبصارِ بسلسلة تأويلاتٍ مشتركة كُثِفَتْ عنها بتوسل مسالك

(11)* Dix ans après la publication du Traité, Eliade écrira que l'histoire des religions a comme but «d'identifier la présence du transcendant dans l'expérience humaine».

(12) Fragments d'un journal, p. 315. La 1ère édition du Traité d'histoire des religions, préfacée par G. Dumézil, date de 1949 (8e éd., Paris, Payot, 1975). La bibliographie d'Eliade a été publiée dans J.M. Kitagawa et Ch. H. Long, Myths and Symbols, Studie sinonor of Mircea Eliade, Londres-Chicago, 1969, p. 413-433 et dans C. Tacou, Mircea Eliade (coll. Cahiers de l'Herne, 33), Paris, 1978, p. 391-409.

(13)* amène Eliade à se tourner vers les peuples sans écritures, témoins vivants des origines.

(المقدس والديوي 171 صفحة). في تاريخ الإنسانية، يتحمّل الإنسانُ الدينيُّ ضرباً خاصاً من الوجود يُعبّر عن نفسه في عددٍ مُعتبرٍ من الأشكال الدينية. وعلى النقيض، فالإنسانُ اللادينيُّ «يأبى التعالي ويتقبلُ نسبةً الواقع بل وينازعه شكٌ في معنى الوجود»^{(8)*}. ويذيعُ هذا الإنسانُ ويفرضُ ذاته^{(9)*} في المجتمعات الغربية الحديثة.

بدء منعطفٍ في تاريخ الأديان

ظهر في 18 يناير في واجهات العرض الزجاجية للمكتبات الباريسية مؤلفه* **مصنّف في تاريخ الأديان**. وهو الكتاب الذي تُرجم إلى عدة ألسن وما كُفَّ عن إعادة طبعه. كل أعمال إلياد تُحضرُ كبدرة في [مؤلفه] **مصنّف في تاريخ الأديان**. والذي ينبغي الرجوع إليه إذا ما ابتغينا استيعاب البنى الأساسية لفكره. بفضل هذا المؤلف يدشن ميرسيا إلياد مُنعطفًا حقيقيًا في علم الأديان. يتعلّق الأمر في نظره بمجاوزة البحث التاريخي البسيط الذي يكتفي بإبانية^{(10)*} والمعتقدات الدينية للشعوب العديدة. وفي واقع الأمر، إن لكل ظاهرة دينية صلةً حميمة بالتجربة المعيشة من لدن الإنسان.

(8)* «Par contre, l'homme areligieux «refuse la transcendance, accepte la relativité de la réalité, et il lui arrive même de douter du sens de l'existence».

(9)* s'affirme.

له عدة معاني من بينها يفرض ويثبت نفسه، ويظهر ويذيع ويشيخ.

(10)* Se contenter de.

يكتفي بـ أو يقتصر على أو يرضى بـ.

Mésolithique والعصر الحجري الحديث Néolithique. لقد توضحت وتدققت من غير مُرِيَّةٍ في غضون العصر الحجري الوسيط فكرة الأجداد الأسطورية، المتوقفة على الأساطير المتعلقة بنشوء الكون وأساطير أصول الطريدة والإنسان والموت^{(16)*}. وبعد زمنٍ وجيزٍ سُيِّدَتِ المدائنُ: إنه قولُ زراعةِ الحبوبِ وغيرِ النباتِ الذي تَبَعَهُ صِنَاعَةُ الفُخَّارِ. غدا الإنسان مُنْتَجِ غِذَائِهِ. وأخذ [إبانَ هذه الحقبَةِ] صُرُخُ رُوحِي حَقِيقِي فِي التَّكْوِينِ: [بَدَأَتْ تَتَكَوَّنُ] أساطيرُ تتعلَّقُ بنشوءِ الكونِ وأساطيرُ تتعلَّقُ بالأصلِ: و[بَدَأَتْ] المعتقداتُ الخاصَّةُ بالاستمرارِ فِي الحياةِ بعد الموتِ تكتسبُ دَقَّةً ووضوحًا؛ و[نشأ] تضامنُ صوفيٍّ بينَ الإنسانِ والحياةِ النباتيةِ: و[بَدَأَتْ فِي] النشوءِ القُدْسِيَّةِ الأنثويةِ والأموميةِ: و[أخذ فِي] التَشَكُّلِ] لغزُ الولادةِ والموتِ والبعثِ. ولقد احتلَّ لغزُ الحياةِ والخصوبةِ والإخصابِ منزلةً مركزيةً: و[احتلت هذه المنزلة المركزية] الآلهاتُ الأموميةُ déesses-mères، القُدْسِيَّةُ الجنسيةُ،

متباينةً. وكانَ على قناعةٍ من أنَّ العديدَ من الظواهرِ التاريخية-الدينية ليست إلا تعبيراتٍ متنوِّعةٍ لبعضِ الخبراتِ الدينية الأساسية. لقد حَصَّصْتُ فِي مرأى من عينيهِ أربعَ أسطقساتٍ جوهريَّةٍ: المقدَّسُ، الرمزُ، الأسطورةُ، الطقسُ. وقد أُذغِمَ إِيَادُ الوثائقِ الأركيولوجيةِ الوفيرةِ المتعلقة بحقبة ما قبل التاريخ، بفضلِ منهجٍ مُقارِنٍ توليديٍّ، شبيهٍ بالمنهج*الذي سمَّحَ لجورج دوميزيل Georges Dumézil من إعادة اكتشافِ الفكرِ الدينيِّ للهنود-أوربيين وحضارتهم العتيقة، في نسقٍ من المعاني الرمزيَّة⁽¹⁴⁾. إنَّ إِبَاءَهُ العنيدَ أن يذَرَّ على بياضِ حِقْبَةٍ طويلةٍ من تاريخِ العقلِ البشريِّ قد حادَ به إلى إبداءِ أنَّ الإنسانَ المُخْتَرِعَ **Yhomo faber** لما قبل التاريخ كانَ أيضًا إنسانًا لاعبًا **homo ludens** وإنسانًا عاقلًا **homo sapiens** وإنسانًا متدينًا. **homo religiosus**⁽¹⁵⁾ في واقع الأمر تُجَلِّي مَخْلَقَاتُ العِظامِ les dépôts d'ossements والمقابرُ والتحكُّمُ بالنارِ والنقوشُ الصخريةُ والنقوشُ الحجريةُ والرسومُ الكهفيةُ -هذه الأمكنةُ المقدَّسةُ الخاصةُ بما قبل التاريخ- المقصدَ الدينيِّ للإنسانِ العتيق. شهدتِ الإنسانيةُ عقبَ هذه الحقبَةِ الثورةَ الدينيةَ الأكثرَ أمدًا: [ثورة] العصر الحجري الوسيط

(14) Voir J. Ries, dans C. Tacou, Mircea Eliade, p. 81-87; Id., dans R.T.L., t. 7, 1976.

p. 476-489 et 499-504; Id., dans L'expression du sacré dans les grandes religions, vol. I, Louvain-la-Neuve, 1978, p. 71-95 et vol. II, ibid, p. 7-23.

(16)* C'est sans doute au cours du Mésolithique que s'est précisée l'idée d'ancêtre mythique, solidaire des mythes cosmogoniques, et des mythes des origines du gibier, de l'homme, de la mort.

(15)* Son refus obstiné de laisser en blanc une longue période de l'histoire de l'esprit humain l'amène à faire voir que l'homo faber préhistorique était aussi un homo ludens, sapiens et religiosus.

لقد أنهى البحث المتئذ من قِبَلِ إِيَادِ سُوءِ الفهم الذي اختلَقَهُ الوضعيون والتطوريون في القرن التاسع عشرة⁽²⁰⁾.

ميرسيا إِيَادِ والمقدّس

كنا قد تكلمنا عن إِيَادِ بوصفه «فيلسوفَ المقدّس»^{(21)*} و«عالمَ مَقَاوِرِ المقدّس»^{(22)*} وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى، فقد زَعَمْنَا أَنْ «حكايةَ المقدّس» «la fable du sacré» صَاغَهَا فِي مُسْتَهْلِ القرن العشرين علمُ الأديان. تكمن إحدى جَدَائِرِ إِيَادِ فِي اسْتِنَافِهِ دراسةَ المقدّس كما افتتحها إميل دوركايم E. Durkheim ومارسيل موس M. Mauss وتابعتها شودربلوم N. Söderblom ووردولف أوطو R. Otto وفان دير ليوو van der Leeuw وفي جعلِهَا رَكِيزَةً أُسَاسِيَةً فِي عِلْمِ الأديان⁽²³⁾.

لقد عَرَفَ دوركايم الدينَ على أَنَّهُ مِنْ نِتَاجِ الوعي الجمعيّ الذي أوجدَهُ المُجْتَمَعُ. على الضدِّ

المُنَاكحَةُ المقدّسة⁽¹⁷⁾، الرمزِيَّةُ النَّجْمِيَّةُ symbolisme astral، الشمسُ والقمرُ^{(18)*}.

إِنَّ دِينَ العصرِ الحجري الحديثِ دِينٌ كُونِيٌّ مُتَمَكِّرٌ على التجدُّدِ الدوريِّ للعالمِ: [متمحوٌّ حولَ] الشجرة الكونية، الزمن الكرويّ، رمزية المركز والأمكنة المقدّسة، تقديس الحيّز المكانيّ^{(19)*}. تتنزّل الرمزِيَّةُ فِي هذا الصرحِ الروحيّ العتيق منزلةً مركزيّةً. وإثْرَ ابتداعِ الكتابةِ مَدُّ ظُهورِ النصوصِ الأولى تمكّنًا من بلوغِ المُلتقى والتلاحمِ معَ هذا الكونِ المشحونِ بالمعاني العميقة. هكذا آلتِ الإنسانِيَّةُ إلى حضارةٍ جديدةٍ: [حيثُ انتهت إلى] العصرِ الحديديّ، المدينة، المملكة، الكهنوت المنظم.

(17) المصطلح الأجنبي المستعمل هنا هو hiérogamie وهو مأخوذ من اللغة الإغريقية القديمة Hieros gamo = sacré وهو مكوّن إثن من مفردتين الأولى hieros = المقدّس والمفردة الثانية mariage, rapport = sexual وتعني نكاح، زواج، مضاجعة جنسية أو علاقة جنسية، وفي الأساطير يعبر المصطلح عن قران وارتباط مقدّس ذي طابع جنسيّ ويفيذ المعاشرة والمواقعة والاقتران الجنسيّ accouplement بين الآلهة أو بين إله وبشرّي سواء كان ذكرًا أو أنثى. وأما في الحقل الدينيّ فيفيذ التمثيل الطقسيّ لهذا القران أو المناكحة المقدّسة من طرف البشر. ينظر:

Jean-Pierre Chevillot D'Isis au Christ : aux sources hellénistiques du christianisme, Éditions L'Harmattan, 2011, 262 page.

(18)* Bientôt se forment les villages: c'est la naissance de la céréaliculture et de la végéiculture, suivie par la fabrication de la poterie. L'homme devient le producteur de sa nourriture. Un véritable édifice spirituel se constitue : mythes cosmogoniques et mythes d'origine; précisions dans les croyances en la survie; solidarité mystique entre l'homme et la végétation ; sacralité féminine et maternelle ; mystère de la naissance, de la mort et de la renaissance. Le mystère de la vie, de la fécondité, de la fertilité occupe une place centrale: déesses-mères, sacralité sexuelle, hiérogamie, symbolisme astral, soleil et lune.

(19)* مثل تقديس بعض البقاع.

(20) Voir J. Ries , Quelques aspects de la science des religions à la fin du XIXe siècle dans Lucienne Portier, Christianisme, Églises et Religions. Le dossier Hyacinthe Loyson (1827-1912) (coll. Cerfaux-Lefort, 4), Louvain-la-Neuve, 1982, p. 147-172.

(21)* «philosophe du sacré».

(22)* «spéléologue du sacré».

(23) E. Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, 1912, 1968 5.

N. Söderblom, Holiness, dans J. Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics,

t. 6, Edimbourg, 1913, p. 731-741; R. Otto, Das Heilige, Gotha, 1917; Le Sacré,

Paris, 1929; G. van der Leeuw, La religion dans son essence et ses manifestations,

Paris, 1948, 1970 2. Voir J. Ries, Les chemins du sacré dans l'histoire, Paris, Aubier, 1985 p.11-84 .

بتوسلِ شَيْءٍ ما مغايرٍ لهُ: [من قبيل] الكائناتِ، الموضوعاتِ، الأساطيرِ، الرموزِ. نَحَيَّرُ إِيَادُ، ابتغاءً منه أَنْ يَشِيرَ إلى فِعْلِ تَجَلِّيِ المَقْدِسِ^{(*) (27)}، مُصْطَلَحًا مُوَفَّقًا، غدا عَتِيقًا في عِلْمِ الأديانِ: [هو ذا مصطلحُ] الهيرُوفانيائي hiérophanie^{(*) (28)}. يستوعبُ الإنسانُ غَشِيانَ المَقْدِسِ للعالمِ، وَمِنْ جِلالِ هذا الاكتشافِ، يَعي وَجُودَ واقعِ مُتعالٍ يهَبُ للعالمِ بُعْدَهُ الحَقِيقِيَّ المُكْتَمَلِ. [لكن] هذا البُعْدُ ليسَ بديهيًّا [وجليًّا]. وإِنما باكتشافِ هذا البُعْدِ يَغْدُو الإنسانُ إنسانًا دينيًّا. وَيَتَجَسَّمُ مسؤولِيَّةَ هذا الاكتشافِ في حَيَاتِهِ، يَنخرطُ في سلوكٍ خاصٍ.

إِنَّ كلَّ تَجَلِّيٍ للمَقْدِسِ لَظاهِرَةٌ دينيَّةٌ يَحْصَلُها الإنسانُ ويفهَمُها^{(*) (29)}. ولا تَنفِصِلُ هذه الظاهِرَةُ عن الخبرةِ المعيشيةِ من قَبْلِ الإنسانِ الدينيِّ. وتَتَدخَلُ في كلِّ تَجَلِّيٍ للمَقْدِسِ ثلاثَةٌ عَناصِرٌ: الشَيءُ أو الكائِنُ الطَبِيعِيُّ [المرئيُّ]، الواقِعُ اللا مرئيُّ والكائِنُ الوَسِيطُ المتدِيرُ

من هذا التصوُّرِ، بَصُرَ ردولف أوتو في المَقْدِسِ، باعتباره حَضْرَةَ الألوِهِيِّ numinosum، قِيميَّةً إلهيَّةً ومبَدَأً حيًّا لكلِّ الأديانِ: لَقَدْ كانَ تَجَلِّيهِ في التاريخِ متواجِدًا في بدايةِ الأديانِ المتنوعةِ. لم يَساور إِيَادُ التَرَدُّدُ في تَجاوزِ المنظورِ الاختزاليِّ لِعِلماءِ الاجتماعِ. ومن جِهَةٍ أُخرى تُؤلَّفُ، في نظره، المُعْطِياتُ النفسِيَّةُ لِاختبارِ حَضْرَةِ الألوِهِيِّ l'expérience du numineux التي استجَلَّها ردولف أوطو، أساسًا ضيقَ [الأفق]. لَقَدْ أوَلَى عنايةً، اقتفاءً ب فان دير ليو، لسلوكِ الإنسانِ وموقفِهِ إزاءَ حَضْرَةِ المَقْدِسِ الذي «يتجَلَّى دائِمًا على أَنَّهُ قوَّةٌ تَنتمي إلى نظامٍ مُختلِفٍ تامًّا عن [نظامِ] القُوَى الطَبِيعِيَّةِ»^{(*) (24)} (الأساطيرِ، الأَحلامِ، الأسرارِ 1957 ص 14). لَقَدْ بيَّنَ إِيَادُ عِبَرَ كلِّ أَعْمالِهِ أَنَّ سلوكَ الإنسانِ الدينيِّ يُنظَمُ نَفْسَهُ حَوْلَ تَجَلِّيِ المَقْدِسِ. إِنَّ هذا الأخيرَ يَنتمي إلى^{(*) (25)} نظامٍ مُختلِفٍ عن النظامِ الطَبِيعِيِّ، بيدَ أَنَّهُ لا يَحْضُرُ البتَّةَ وَفَقَّ خالَتِهِ النَقِيَّةِ^{(*) (26)}. إِنَّه يَتجَلَّى

(24) (*) A la suite de G. van der Leeuw, il s'intéresse au comportement et à l'attitude de l'homme en présence du sacré qui «se manifeste toujours comme une puissance d'un tout autre ordre que les forces naturelles».

(25) (*) Celui-ci relève d'un...

يفيِّدُ الفِعْلَ الفرنسيَّ relever عدةَ معاني ولكن المعاني التي قصدُها المؤلِّفُ هنا هي معنى dépendre أي متوقف على، أو مرهون ب، أو تابع ل، لكن من معانيه أيضًا انتمى إلى، ومتعلق ب وسنورد بعضَ معانيها باللغة الفرنسيةِ ميانشرةً أدناه:

Relever : dépendre de , Être sous l'autorité de quelque chose, de quelqu'un , Être dans la dépendance (d'une autorité supérieure). → 1. dépendre. Cadre qui relève de tel directeur. Fief qui relève d'un seigneur.

Fig. Être du domaine de. Ce qui relève du cœur ou de besprit. → appartenir (à), concerner. « Tout ce qui est conventionnel et traditionnel relève [...] du poncif » (Baudelaire).

(26) (*) mais ne se présente jamais à l'état pur.

(27) (*) Pour indiquer l'action de la manifestation du sacré [...].

(28) (*) إذا hiérophanie الهيرُوفانيائي مصطلحُ اخترنا تعريبه أو مصطلحُ تَجَلِّيِ المَقْدِسِ إذا اخترنا ترجمته يَتكوَّن من مفردتين إغريقيتين في الأصلِ: المفردة الأولى هي «hieros» («ερός») وتعني «المَقْدِسُ والقُداسة» «sacré» «saint» وأما المفردة الثانية فهي «phainein» («φαίνειν») وتعني الانكشاف والظهور والتجَلِّي ، وعليه فالمصطلحُ المكوَّن من المفردتين معناهُ تَجَلِّيِ المَقْدِسِ «manifestation du sacré».

(29) (*) Toute hiérophanie est un phénomène religieux perçu par l'homme.

أَقترحُ ترجمتها بطريقة حرفية هكذا: إن تَجَلِّيِ المَقْدِسِ ظاهِرَةٌ دينيَّةٌ يشاهدها الإنسانُ ويَدركها*، واقترحنا هنا ترجمة الفِعْلِ الفرنسيِّ percevoir بمعنيين: الأول هو معنى المشاهدة والمعانيمة والنظر والثاني هو معنى الإدراك والفهم والاستيعاب. وتارة نضيف له المعنى الثالث الذي هو يفيدُ الحصول والتلقي.

المتعددة بمثابة قوة تنتمي لنظام مختلف عن النظام الطبيعي. وهذا الخطاب، الذي بتوسيله يقص الإنسان خبرته، هو من يحدو موضوع بحث لمؤرخ الأديان. تلافى إلياد، بفضل تشييد علم الأديان على ركيزة الهيروفايتات، الشرك الذي اصطدم به^{(35)*} فريدريش هايلر Friedrich Heiler الذي رأى في تاريخ الأديان لاهوتاً مقدساً⁽³⁶⁾ مؤسساً على الإيمان بالوحي الإلهي الحاضر في كل الأديان⁽³⁷⁾. مثل هذا المنظور يخلق خلطاً بين اللاهوت وعلم الأديان. [ذلك] أن علم الأديان يُسأل الإنسان الديني لا الوحي^{(38)*}. إن دراسة الدين عند إلياد لبحث يرتكز على الإناسة. لقد أكد بالحاح كاتبنا

(35)* استعمل في النص فعل buter الذي يفيد الاصطدام بعائق ما، وكما تفيد أيضاً في سياق عبارة النص العناد والتصلب والتشيب بشيء ما والإصرار عليه. وسنضع أدناه المعاني الواردة في اللغة الفرنسية ليستفيد منها القارئ العربي إذا ما أراد العودة إلى المقال في لغته الأصلية:

Se buter: Se heurter à un obstacle.

Se buter à, contre, dans, sur. Être arrêté par une chose sur laquelle on s'acharne avec opiniâtreté. Synonyme s'entêter, s'obstiner. Se buter dans le mensonge, dans le silence.

(36)* تلافى إلياد، بفضل تشييد علم الأديان على ركيزة تجليات المقدس، العقبة التي ارتطم بها فريدريش هايلر Friedrich Heiler الذي رأى في تاريخ الأديان لاهوتاً مقدساً مؤسساً على الإيمان بالوحي الإلهي الموجود في كل الأديان.

(37) F. Heiler, Erscheinungsformen und Wesen der Religion, Stuttgart, Kohlhammer, 1961. Voir la critique faite par U. Bianchi, Après Marbourg. Petit discours sur la méthode, dans Numen, t. 8, Leyde, 1961, p. 65-80.

(38)* La science des religions n'interroge pas des révélations; elle interroge l'homo religiosus. ».

الوحي هنا جاء بصيغة الجمع وجمع الوحي في اللسان العربي هو وحي؛ جاء في قاموس لسان العرب ما يلي: الوحي: الإشارة والكتابة والرّسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى [...] وعلى ذلك جمعوا فقالوا وحي مثل حلي وحلي.

بالقدسية. إن الواقع اللا مرئي لهو الغيرية التامة^{(30)*}. يأتي هذا الواقع ليغزو لكائن ما أو شيء ما يُعدّاً جديداً، [ليهب له] القدسية. ويستمر الشيء أو الكائن الذي بتوسيله يتجلى الواقع المتعالي في المشاركة في العالم الطبيعي، لكنه بفضل بعده الجديد يصبح وسيطاً^{(31)*}: [من قبيل] الشجرة المقدسة، الشامان، الكاهن. يكون التجلي الأسمى للمقدس^{(32)*} بالنسبة للمسيحي، في نظر إلياد، «تجسداً لله في عيسى- المسيح» (المقدس والديوي بارييس، 1965، ص15).

ظل إلياد، في دراسته للمقدس، في ميدان تاريخ الأديان. وبفضل فينومينولوجيا التجلي سعى مؤرخ الأديان إلى فهم طبيعة المقدس: يتعلق الأمر بقدر كبير بالسياق التاريخي لتجليات المقدس الخاضعة لتخوم المكانية والزمانية. ومن حينها طفق التاريخ مصدرًا أصلياً⁽³³⁾ [لدراسات] ذات النزعة المقارنة^{(34)*}. يظهر

المقدس في نظر الإنسان الديني ذي الديانات

(30)* يمكن أن نترجم مصطلح «tout autre» أيضاً: الآخر الكلي الغيرية أو الآخر الأقصى أي أن هذا الكائن المقدس ينتمي إلى نظام وبنية تختلف جذرياً عن العالم المرئي المدّس.

(31)* il devient médiateur.

(32)* فقلنا هنا ترجمة مصطلح la hiérophanie بدل تعريبه، فقلنا في عبارة la hiérophanie suprême الأسمى للمقدس بدل الهيروفايتا السامية.

(33)* تقيّد فالمفردة الفرنسية la mère معنى الأم وفق الدلالة الحرفية، لكن تقيّد أيضاً وفق المجال الدلالي المجازي معنى المصدر والعلّة والرحم.

(34)* المفردة الأجنبية الواردة في النص هي comparatisme وهي نزعة في الدراسات العلمية تقوم على المقارنة بين عدة عناصر أدبية أو أسطورية أو لسانية أو سياسية وما إلى ذلك لتقارن بين أنساقها ومفاهيمها ومناهجها وغير ذلك، ومنها الآداب المقارنة والقانون المقارن واللسانيات المقارنة والسياسة المقارنة والأديان المقارنة... إلخ.

الدينية: [من قبيل] النصوص، المخطوطات، الأنصاب التذكارية، الشعائر، العادات، التقاليد الشفوية، الأساطير والطقوس، ملاحظات الرحالة، وثائق المبشرين، الأدبيات الكهنوتية، التراثيل والأدعية. إنَّ مؤرِّخ الأديان مُلزَمٌ ببذل [ما في وسعه في استعمال] جميع وسائل الكشف والنقد: جمعُ المواد، تحليلُ السياق التاريخي الثقافي، تاريخُ الأشكال الدينية. ينزَعُ إِيَادُ في أعماله إلى تفضيلِ فئتين من الوثائق: [الوثائق الخاصة ب] الأديان الكبرى لآسيا من جهة و[الوثائق الخاصة ب] التقاليد الشفوية للشعوب التي تَعَوَّزُهَا الكتابةُ من جهةٍ أُخرى. ليسَ في مُكنة مؤرِّخ الأديان أن يَصْغَ نفسه بديلاً عن المتخصصين في الحقلِ الفسحِ للأبحاث التاريخية وإنما يتوجَّبُ عليه أن يكونَ على اطلاعٍ بأعمالهم.

2. مسلكُ الفينومينولوجيا

يُغْرِبُ إِيَادُ مذ مستهلِ جملته الأولى من كتابه **مُصَنَّفُ في تاريخ الأديان** عن المبدأ الأساسي للعلم الحديث: «إنَّ النطاقَ هو الذي يخلقُ الظاهرة». ولقد استنتجَ وجوبَ معاينة الظاهرة الدينية بمقتضى نمطها الخاص المتمثل في النطاق الديني. ينتقدُ إِيَادُ نظريات الدين الكبرى لاختزالها علمَ الأديان في مقارباتٍ إمَّا تاريخيةً محضةً، إمَّا اجتماعيةً أو اثولوجيةً، إمَّا نفسانيةً. لقد حادت هذه الملاحظاتُ بصاحبِ [مؤلف] **مُصَنَّفُ في تاريخ الأديان** إلى تسليطِ الضوء على منزلة الرمزي، وعلى الجانبِ الروحي

مراراً وتكراراً الأضرَبَ المختلفةً للمقدِّس الذي يحياه و[يختبره] الإنسانُ الدينيُّ العتيقُّ وأشياغ الأديان المرتبطة بالثقافات الكبرى أو المؤمن من أهل الأديان السماوية العظمى. يلقي الإنسانُ نفسه، [في هذه الأديان السماوية]، في حَضْرَةِ إِيَادُ شخصيٍّ يتدخلُ في تاريخ المؤمن وحياته.

ينغمسُ إِيَادُ بوصفه عالمٌ مغاور المقدِّس، في أعماق وعي الإنسان الديني وسلوكه [كما هي] في قلب تجربته الوجودية للمقدِّس- المعيش (39)*. بهذه الطريقة يستفتحُ مُنْسلِكًا جديداً ويُقيمُ بعضَ المعالم البارزة للأبحاث القادمة في الميدانِ الفسحِ للهيروفانتيات.

المسالكُ الثلاثةُ لتاريخ الأديان

1. مسلكُ التاريخ

[يمثلُ] تاريخُ الأديان مُقارَبَةً علميةً للظاهرة الدينية. ويُطلَبُ منه، بما هو تخصصٌ تاريخي، أن يرتبطَ بدراسة الخبرات الدينية المعيشة في الفضاء والزمان منذُ العصرِ الحجريِّ القديم إلى أيامنا هذه. ألحَ إِيَادُ ملياً في [مؤلفه] **مُصَنَّفُ في تاريخ الأديان** (باريس 1948) على الإجراء التاريخيِّ ومصاعبه وإلزاميته الناجمة خاصةً عن التباينات القُصوى بين الوثائق

(39)* «péléologue du sacré», Eliade fait une plongée dans les profondeurs de la conscience et du comportement de l'homo religiosus en son expérience existentielle du sacré-vécu.

3. فسلكُ الهيرمينوطيقا

يُلحُ إليادُ على وَجهِ آخرٍ للبحثِ: « لا يتصرفُ مؤرُخُ الأديانِ كفقيه اللغَةِ وإنما كمفسِّرٍ ومُؤوِّلٍ» (مفستوفيليس^{(42)(*)}) و(43)(*) زنمردة^{(43)(*)} باريس. 1962، ص245). إنَّ الهيرمينوطيقا^{(44)(*)} هي علمُ التَّأويلِ. يباشِرُ الهيرمينوطيقيُّ، بالاستعانةِ بالوثائقِ، المُجمَّعةِ والمُعَدَّةِ والمنتقَدَةِ والمُصنَّفةِ، العملَ المُقارَنَ ابتغاءَ الإبانةِ عن الرسالةِ وهتكِ الحجابِ عن البُغْدِ العابرِ للتاريخِ وجعلِهِ قابلاً للتعقُّلِ وفي متناولِ إنسانِ العصرِ الحاضرِ. إذا كانَ تاريخُ الأديانِ، كما يُجلبه إليادُ، دراسةً لكلِ تجلياتِ المقدِّسِ المعروفةِ بفضلِ الشَّهادَاتِ المتعدِّدةِ للإنسانِ الدينيِّ، فإنَّ الإجراءَ الهيرمينوطيقيَّ يفرضُ نفسَهُ كقيمةٍ وموضوعٍ تقديريٍّ. إنَّه^{(45)(*)} يتخذُ من سبْرِ الظواهرِ الدينيةِ من حيثُ هي دوالٌّ [ذواتٌ مغزى] مُهمَّةٌ له.

تحاولُ الهيرمينوطيقا الوصفيةُ استجلاءَ الرسالةِ التي يُدرِكُها ويُحصِّلها الإنسانُ الدينيُّ

(42)(*) Méphistophélès.

فستوفيليس اسمٌ لاتينيٌّ يعطى في الغالب الأعم للشخصية التي تمثِّل الشيطان وهو الاسلام الذي أعطاه غوته في رواية فاوست للشيطان.

(43)(*) الزنمردة: مفردة فارسية معربة من تتكوّن من مقطعين هما زُنْ قرد وتعني امرأة ورجل، وعموماً تطلق في وصف للمرأة التي تشبه الرجال في الخلق، إما عن تشبهه أو لاجتماع في خواص **الأنوثة والذكورة**. تطلق هذه الصفة إطلاقاً على أي فرد لم يمكن تحديد جنسه بالنظر في مظهره.

(44)(*) L'herméneutique est la science de l'interprétation. إن لفظة الهيرمينوطيقا كلمة إغريقية الأصل hermeneutikè. ἐρμηνευτική τέχνη من أو علم التأويل art d'interpréter ولقد عرّبناها في مواضع، لكن أثرنا ترجمتها في بعض مواضع النص المترجم بـ: تأويلية. (45) ضميرُ الغائب يعودُ على الإجراءِ الهيرمينوطيقيِّ.

والتناسقِ الباطنيِّ للظواهرِ الدينية. إنَّه يوصي، [على أساسين] استثنافه لعبارة رافايل بيتازوني Raffaele Pettazoni: «إنَّ الفينومينولوجيا هي الفهمُ الدينيُّ للتاريخ» بفهمٍ لماهيةِ وبُنَى الظواهرِ الدينيةِ المعايَنةِ على السواءِ داخلَ شروطها التاريخيةِ وفي سلوكِ الإنسانِ الدينيِّ⁽⁴⁰⁾. إنَّ سلوكَ هذا الإنسانِ الذي يختبِرُ تجربةَ المقدِّسِ لَعنصرٍ راسخٍ ضمنَ مجموعةٍ فسيحةٍ من الوقائعِ الدينيةِ.

تشرعُ الفينومينولوجيا [ابتداءً] في تعيينِ الظواهرِ وتصنيفها: [من قبيلِ تعيينِ وتصنيفِ] الأضحيات، الصلوات، القرابين، اعتناقِ الدين، الطهر والاعتسال، الخطيئة... إلخ. وتقومُ أيضاً بعمليةِ جَرِدِ اللَّبَنِي. بيدَ أنَّ هذه الإجراءاتِ المتعددةِ لا تتخطى التَّصنيفَ وَفَقَ أنماطِ. إنَّ مؤرُخَ الأديانِ لَمُناشدُ أن يُحرَزَ تقدُّماً في سبيلِ تعميقِ مغازي^{(41)(*)} سلوكِ الإنسانِ الدينيِّ وتمفصلاتيه. وهذا الطورُ الثاني من الإجراءِ الفينومينولوجيِّ لهو محاولةٌ لفكِ شيفرةِ الوقائعِ الدينيةِ من حيثُ هي خبراتُ الإنسانِ في جهودهِ المبذولةِ ابتغاءَ التَّعالِي عن الزمانيِّ والاتصالِ بالواقِعِ الأَسقى.

(40) Voir M. Eliade, La nostalgie des origines, Paris, Gallimard, 1971, p 67.

(41)(*) des significations.

مفردها مغزى، وأثرنا ترجمتها بمغازٍ [جمع مغزى] لأن مغزى الشيء معناه دلالتُه ومقصده ومضمونه. وهو أقرب إلى معنى المفردة الفرنسية وسياق مجيئها.

الرمز، الأسطورة والطقوس

إنَّ المقدَّسَ في كلِّ تجلياته عبارة عن وسيطٍ وعلى صعيد الواسطة يُوجد اللُّغزُ. وبفضل هذه الواسطة يعي الإنسان الديني اتصاله بالواقع المتعالي. ففي الوضع الإنساني وَخَدَهَا الخَبْرَةُ الوَسِيطِيَّةُ^{(50)(*)} لما هو خارقٌ للطبيعة قابلةٌ للتحقق على سبيل العادة. مذْ ذَاكَ يُعْهَدُ للرمز، للأسطورة والطقس، [الحق في الاضطلاع] بدورٍ مُهمٍ في حياة الإنسان الديني وفي خبرته بالمقدَّس المعيش^{(51)(*)}.

لقد كُرسَ الفَصْلُ الأخيرُ من [مؤلف] **مُصَنَّفٌ في تاريخ الأديان** لُبَّنَى الرموز. يوتسغُ الرمزُ دِيالِيكْتِيكُ الهيروفانيا. *dialectique de*^{(52)(*)} la hiérophanie وأحياناً يستبدلُ نفسه بها أو يصيرُ هو ذاته تجلياً مقدَّساً يُسْفَرُ عن واقعٍ مقدَّس. وتُحَقِّقُ الرمزيةُ التفاضلَ الدائم بين الإنسان والمقدَّس. حينها تغدو الرموزُ خليفةً بالكشف عن نمطٍ من الواقع أو عن بنية ما للعالم لا يتمتعان على صعيد الخبرة المباشرة بالوضوح. وعلى هذا المنوال تتخذُ الرمزية في حياة الإنسان الديني من الكشف والوحي

^{(50)(*)} أي التي تجري بموجب توسط شيء ما دونما مباشرة.

^{(51)(*)} Dans toute hiérophanie, le sacré est médiateur et c'est au niveau de la médiation que se trouve le mystère. Grâce à cette médiation, l'homo religiosus a conscience d'entrer en relation avec la Réalité transcendante. Dans la condition humaine, seule l'expérience médiante du surnaturel est normalement réalisable. Dès lors, dans la vie de l'homo religiosus et dans son expérience du sacré vécu, un rôle important est dévolu au symbole, au mythe et au rite.

^{(52)(*)} أو جدل تجلي المقدَّس.

من مظاهرها *in situ*^{(46)(*)}. وهذا الإنسان يختبر تجربةً دينيةً يكونُ بها على وعيٍ. حتى إن كان هذا الوعي مُبهماً نسبياً، فإننا سنتوصلُ بفضل العالم الرمزي للهيروفانيات^{(47)(*)} إلى فهم ما هو جوهرِي من الرسالة. أصرَّ إلباد من وجهة النظر هذه على ترابط الأفكار الدينية وعلى الوحدة في التاريخ الروحي للإنسانية بداعي أنَّ الظرف الإنساني يبقى هو نفسه في كلِّ حقبة⁽⁴⁸⁾.

يسعى إلباد، إذ هو مُنشغلٌ بالبحث عن القيم في فكر الشعوب^{(49)(*)}، إلى وضع الأسس لتأويلية معيارية تتخذ من الإسفار عن الأوجه الأساسية للوضع البشري غايةً لها. مثل هذه التأويلية ترفعُ الحجاب عن المعاني التي كان استيعابها علينا متعذراً. إنها مُبدعةٌ لقيم ثقافية جديدة في مُكْنيتها أن تهدي الإنسان المعاصر إلى نزعة إنسانية جديدة. تتأسس هذه التأويلية المعيارية على الوحدة الروحية للبشر التي يستخرجها مؤرخ الأديان من خبرة المقدَّس التي فهمها، حصلها، وعاشها الإنسان الديني طيلة ألف سنة^{(49)(*)}.

^{(46)(*)} in situ.

من خلال وسطها الطبيعي أو بعبارة أخرى من خلال مواضعها الأصلية والصحيحة أو من خلال بيئتها الطبيعية.

^{(47)(*)} l'univers symbolique des hiérophanies. لو ترجمنا المصطلح لقلنا: العالم الرمزي لتجليات المقدَّس.

⁽⁴⁸⁾ Voir D. Allen, Mircea Eliade et le phénomène religieux, Paris, Payot, 1982. Cet

ouvrage, préfacé par Eliade lui-même, constitue une excellente approche de la méthode éliadienne.

^{(49)(*)} Cette herméneutique normative se fonde sur l'unité spirituelle de l'humanité que l'historien des religions dégage de l'expérience millénaire du sacré perçu et vécu par l'homo religiosus.

تؤلف الأساطير المتعلقة بنشوء الكون، حسب
إلياد، التاريخ المقدس للشعوب. يتعلق الأمر
بالتاريخ المتناسق الذي يكشف عن مأساة خلق
العالم والإنسان ويُعبّر عن المبادئ التي تحكم الكون
والإنسان. تُظهر الأسطورة هذه اجتياح المقدّس
للعالم، وبواسطة إعادة التحيين réactualisation
المتواصلة للأفعال الإلهية، يُدعى الإنسان [من
لدى هذه الأسطورة] إلى صون المقدّس في
الكون. تكمن إحدى جدران إلياد العظيمة في إيضاح
السلوك الأسطوري: [من قبيل] التيقظ وصون
وعى العالم الإلهي⁽⁵⁷⁾؛ مُضاهاة نموذجٍ عابرٍ لِمَا هو
إنسانيّ: تكرارٍ لمجرياتٍ مثاليةٍ [مخطط لها سلفاً]
⁽⁵⁸⁾؛ إرجاع الفعل الإنسانيّ إلى نموذجٍ أصليّ يهب
له فعاليته. يبرز إلياد كذلك تعثر وجهه نظير بولتمان
التي من جهةٍ جانبها فهم مغزى الأسطورة ومن
جهةٍ أخرى لم تبصر أنّ المسيحية عبارة عن تقديرٍ
للتاريخ من حيث هو تجلٍ مباشر لا مُزحج عنه لله
في العالم⁽⁵⁹⁾.⁽⁶⁰⁾

(57) (*) «:éveil et maintien de la conscience du monde divin».

(58) (*) scénario exemplaire.

تفيد المفردة الأولى من العبارة حكمة ما في مرويات
معينة أو نحن مسار تجري فيه الأحداث وفق خطة ما
ولهذا يمكن ترجمة العبارة كاملة بمجريات مثالية أو
أحداث مثالية أو حكمة مثالية أو نعزب المفردة الأولى بينما
نترجم الثانية فنقول: سيناريو مثالي. ويمكن ترجمة مفردة
exemplaire في العبارة السالفة ب: اقتدائية وعليه تكون
العبارة لمجريات يُقتدى بها أو يتخذها الإنسان قدوة أو
نقول لمجريات احتدائية.

(59) M. Eliade, Mythes, rêves et mystères, Paris, Gallimard, 1957, p. 24-28, et Aspects du mythe, Paris, Gallimard, 1963, p. 197-219.

(60) (*) Eliade montre aussi l'erreur d'optique de Bultmann qui, d'une part, n'a pas compris le sens du mythe et, d'autre part, n'a pas vu que le christianisme est une valorisation de l'histoire comme manifestation directe et irréversible de Dieu dans le monde.

وظيفة لها، إضافة إلى أنّها تمنح معنى
جديداً للوجود. لم يبرح إلياد عن تكرير القول
أنّ الرمزيّ ينتمي إلى جوهر الحياة الروحية. وهو
يرى أنّ الوظيفة الأكثر أهمية للرمزية الدينية
تكمن «في قدرتها على التعبير عن الأحوال
المتناقضة للواقع الأسمى وعن بعض بُناءه،
التي من المستحيل التعبير عنها بطريقة
أخرى». (مفستوفيليس وزنمردة، باريس، 1962،
ص 259). كما كرّس في [مؤلفه] صوراً ورموزاً
فضلاً في غاية الإسهاب للرمزية المسيحية⁽⁵³⁾.

بمقدورنا أن نقول دون تردّد إنّ بحث إلياد يُجدّد
بحق دراسة الأسطورة. يُسلّط إلياد الضوء على
مغزى الأسطورة ووظيفة الحياة الدينية. بعد
أن ساءل «الأساطير الحية⁽⁵⁴⁾» للشعوب التي
تعوزها الكتابة و«الأساطير غير الشفوية⁽⁵⁵⁾»
لدى الشعوب التي مارست دوراً تاريخياً مهمّاً.
إنّ الأسطورة تاريخٌ حقيقيّ، مقدّسٌ وأنبؤ⁽⁵⁶⁾
تُهب للإنسان نماذج [اقتداء] لحياته وتصلّه
بالعالم الخارق للطبيعة.

(53) M. Eliade, Images et symboles, Paris, Gallimard, 1952, p. 198-235.

(54) (*) «les mythes vivants».

(55) (*) «les mythes désarticulés».

مصطلح عسيّر على الترجمة و لم أعثر له على أي ترجمة
عربية لحد الآن لكن أقترح لها عدة ترجمات تقريبية من
بينها: الأساطير المفككة الأوصال، أو الأساطير غير
المتراصة أو الأساطير الغابرة أو البائدة، أو الأساطير
المفككة للوحدة العضوية. لكن ثمة عبارة أخرى لا تقل
أهمية وهي: الأساطير غير الشفوية، لأن الفعل articuler
يقصد به أيضاً القول والتلفظ والنطق، وعليه قد يقصد
المؤلف من العبارة الأساطير غير المتأينة لنا من سبيل
التقليد الشفاهي بل من طريق التقليد الكتابي الذي سجّل
الأساطير على الصخور أو على الرسوم الجدارية.

(56) (*) Exemplaire.

معناها القدوة أو المثال أو النموذج*.

تاريخ الأديان حسب ميرسيا إِيَادِ

لم نولِ اهتمامًا في هذا المقالِ إلى جُزءِ آخرَ من أعمالِ إِيَادِ [ذلك الجزء المتعلق ب]: التحليلاتِ الفنية، الرواياتِ، الأعمالِ الأدبية. غيرَ أنَّ هذا الجزءَ يَهْمُ كذلكَ مؤرُخَ الأديانِ. ذلكَ أنَّ إِيَادِ قد طَوَّرَ في هذا الجزءِ عن طيبِ خاطرٍ وبملاءمةٍ رغبتهَ عَدَدًا كبيرًا من الأفكارِ والمباحثِ الأسطورية والرمزية⁽⁶⁴⁾. من الواجب، من جهةٍ أخرى، أن نُولِيَ أهميةً كُبرى لمحاولاته في السيرة الذاتية*، ذلكَ أنَّها* تُولِّفُ معالمَ اهتداءٍ قيِّمةٍ.

كما أَلْفِينَاهُ، تكمنُ جدارَةُ إِيَادِ العظيمة، في علمِ الأديانِ، في دراسته للإنسانِ الدينيِّ وللإنسانِ في كليته [الجامعة]، من حيثُ هو إنسانٌ في آنٍ واحدٍ تاريخيٌّ وعابرٌ للتاريخ*⁽⁶⁵⁾. يبرزُ كاتبنا، من خلالِ كلِّ أبحاثه، هذا الإنسانَ الذي هو في رحلةِ البحثِ عن المقدَّسِ، مُختبرًا تجربتهَ الهيروفانيةَ الوجوديةَ ومُجسِّدًا وساطةَ المقدَّسِ بتوسلِ الرموزِ والأساطيرِ والطقوسِ⁽⁶⁶⁾. لقد عثَرَ علماً الأديانِ، بفضلِ وجهةِ النظرِ هذه التي تُولِّفُ أساسًا لأعمالِ إِيَادِ، على بُعْدٍ يَسْمَحُ بإنهاءِ الأديولوجياتِ ومختلفِ النزعاتِ الاختزاليةِ للظاهرةِ الدينيةِ. إنَّا نشهدُ في إطارِ العلومِ الإنسانيةِ تَمِيمًا جديرًا

(64) Voir l'étude d'A. Marino, L'herméneutique de Mircea Eliade, Paris, Gallimard, 1981.

(65) (*) بمعنى متجاوز للتاريخ وفوق تاريخي.

(66) (*) A travers toutes ses recherches, notre auteur montre cet homme en quête du sacré, vivant son expérience hiérophanique existentielle et réalisant la médiation du sacré au moyen des symboles, des mythes et des rites.

ما فتى إِيَادِ منذُ [مؤلفه] مُصَنَّفٌ في تاريخِ الأديانِ حتى سنواته الأخيرة عن استئنافِ البحثِ في طبيعةِ ووظيفةِ الطقوسِ du rite والشعائرِ الطقسيةِ rituel. في نظره تُخَفِّقُ⁽⁶¹⁾ السلوكاتُ المتعَدِّرةَ عَدَّها المكترسةَ لتقديسِ الأُمَكْنَةِ والأشياءِ والبشرِ في إخفاءِ هويها بالواقع. إنَّ الإنسانَ الدينيِّ، في واقعِ الأمرِ، يُؤوَّبُ بفضلِ الطقوسِ إلى أنموذجٍ أصليِّ يهَبُ له القوةُ والنجاعةُ. [ذلكَ] أنَّ لكلِّ شعيرةٍ طقسيةٍ أنموذجًا إلهيًّا. ما كَفَّ أستاذُ جامعةِ شيكاغو في تحقيقاته العديدة في طقوسِ المُسارَةِ⁽⁶²⁾ في الأديانِ الغابرةِ والأديانِ الكُبرى عن إبرازِ مكانةِ الطقوسِ في إعادةِ تَمِيمِ الحياةِ الدينيةِ. وكتبَ من جهةٍ أخرى صفحاتَ عديدةٍ ذاتِ أهميةٍ مُنقطعةِ النظرِ عن القَدَّاسِ المسيحيِّ⁽⁶³⁾.

(61) (*) Trahissent.

للفعل الفرنسي trahir عدة معاني لكن أقربها لمعناها في سياق الجملة أعلاه هي بعض المعاني الخاصة مثل معاني الخذلان والتارك abandonner et décevoir وأيضًا معاني الفضح والكشف والإفشاء عن حقيقة ما أو سرٍّ ما divulguer, livrer, révéler. والإبانة على أمرٍ ما مخفٍ أو لا يظهر مباشرةً والفعل بهذا المعنى مرادفٌ لهذه الأفعال: annoncer, déceler, dénoter, indiquer, montrer. ومن معاني الفعل أيضًا إنكار الذات والانتقاص منها Manquer à soi-même, se renier. ومعاني الفعل أيضًا الانكشاف والظهور se manifester, faire découvrir.

(62) (*) طقوس العيوب.

(63) M. Eliade, Mythes, rêves et mystères, Paris, Gallimard, 1957, p. 24-28, et Aspects du mythe, Paris, Gallimard, 1963, p. 197-219.

تحدّد وَبروزَ المعالم والملاحم الأثرية العتيقة لللاهوت والأيدولوجيا. لقد أنشأ إيلاد بادئ الأمر عِلْمَ صَرْفٍ وعِلْمَ تصنيفٍ استنادًا إلى المقدّيس والرمز. بعدَ أن وسَّعَ إضبارته الخاصة لتشملَ الأديانَ الكُبرى لآسيا والفكرَ الدينيّ العتيقّ والفكرَ الجَنائسيّ. لقد شرعَ في البحثِ عن التمثيلاتِ الأساسية والتشابهاتِ بُغيةً استكشافِ الخطوطِ الهادية للسلوكِ البشريّ وبُنَى الفكرِ والمنطقِ الرمزيّ للإنسانِ الدينيّ وفضاءه الذهنيّ، انطلاقًا من هذه الوثائقِ وباستخدامِ المنهجِ المقارنِ. أفرجَ البحثُ التأويليّ الخاصَ بإيلادَ على نحوٍ صراحٍ عن رؤى جديده في علم الأديان.

إنّ التأويلية الوصفية هيّ المجلّى الأكثر أصالةً من أعمالِ إيلادَ. فالتأويلية الوصفية، كما ذكرنا آنفًا، تحاولُ الكشفَ عن الرسالة التي يُحصِّلها ويفهمها الإنسانُ الدينيّ من مظانها^{(69)(*)} بينما التأويلية المعيارية تسعى إلى أن تُسِفِرَ عن الجوانبِ والملاحمِ الجوهرية للوضعِ البشريّ. ترتبطُ تأويليةُ إيلادَ بالبحثِ المقارنِ. وتتعلّقُ على السواءِ بالأدبِ المقارنِ والدينِ المقارنِ. فهمُ كاتبنا تاريخَ الأديانِ على أنه تخصصٌ [علميّ] كليّ يشتملُ على جميعِ المعتقداتِ وكلِ الأفكارِ الدينية المفهومة والمدروسة على ضوءِ خطابِ الإنسانِ الدينيّ وسلوكه. لكنه أيضًا ألقى نظرةً متأنيةً على الأدبِ، مذّ ذاك غدا «التاريخُ الأدبيّ بدوره، كما لاحظَ ذلك مارينو ملاحظةً في غاية الوضوح،

بالملاحظة لعلم الأديان. يكمنُ فضلُ [إيلادَ] الثاني [في علم الأديان] في إيضاحِ مسالكِ البحثِ الثلاثة: [مسلك] التاريخ، [مسلك] الفينومينولوجيا، [مسلك] التأويلية. لقد أنهى إيلادَ الصراعَ القائمَ بين التاريخِ والفينومينولوجيا الذي دامَ مذ نهايةَ القرنِ التاسعِ عشرة. ردّ إيلادَ: إذ هو يُلحُ على البحثِ التاريخيّ بما هو مسلكٌ لا مندوحة عنه، على كلِ الانتقاداتِ الموجهة للفينومينولوجيا والهيرمينوطيقا. لقد منحَ للظاهرة الدينية مَعْرَافًا خصوصيّ ببيان، على إثرِ تلوهِ تلو بيتاروني، أنّ الفينومينولوجيا بمثابة فهمٍ دينيّ للتاريخ.

لقد فهمَ إيلادَ على أفضلِ منوالٍ، على ضوءِ أعمالِ بول ريكور في التأويلية، أنّ مؤرخَ الأديانِ لا ينبغي له أن يتصرفَ كفقيه اللغة لكن كمتفسرٍ ومُؤوِّلٍ. إنه يقتفي من جهةٍ أخرى قفوَ جورج دومزيل خُطوةً بخطوة حينما دَرَسَ الإضبارةَ الهندو-أوروبية بتوسلِ منهجِ مُقارنِ تكوينيّ وشاملي^{(67)(*)} يُعنى^{(68)(*)} بالنصوصِ الأسطورية والملحمية والتاريخية واللاهوتية والشعرية، وبالمعطيات اللسانية والأركيولوجية.

تمكّن، بهذا المنوالِ، من أن يساهمَ في اكتشافِ التراثِ الهندو-أوروبيّ وقد شهدَ

(67)(*) méthode comparative génétique et intégrale.

(68)(*) porter sur.

من معاني الفعل الفرنسي porter الارتكاز والاستناد على، وأيضًا الاصطدام ب، ومن معانيه أيضًا وهي الأقرب إلى الجملة الواردة أعلاه نجد معاني الانطباق على والانسحاب على S'appliquer وأيضًا من معانيه أن يكون الشيء أو الأمر موضوعًا لـ أو غايةً لـ objectif أو pour objet. يمكن ترجمتها أيضًا بمفردات أخرى من قبيل: يتناول ...، يتعلق ب، تغطي.. يستند على، تنطبق على.

(69)(*) في وسطها الطبيعي.

الخلق لهذا البحث الذي أبصر فيه منبعًا لنزعة إنسانية جديدة.

تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية

لقد شدّد إلياد سنة 1949 في [مؤلفه] **مُصنّف في تاريخ الأديان** توكيده على عنصرين جوهريين بالنسبة لتاريخ الأديان: من وَجِهٍ، أو كدّ الوحدة الأساسية للظواهر الدينية، ومن وَجِهٍ آخِرٍ، أو كدّ جدتها المتعدّد نضبها المتجلية في مجرى التاريخ. لقد وقّر [جهد] نفسه ليستأنفّ لاحقًا دراسة الهيروفانيات المتعدّدة التي تناولها [مؤلفه] **مُصنّف في تاريخ الأديان** مُعيّنًا موضعها داخل وجهة النظر التاريخية الخاصة بها. يمثل نشر [مؤلفه] **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** التتمّة الموفّقة لهذا المشروع⁽⁷³⁾. تَضَعُ هذه المجلدات الثلاثة في مُتناول القراء جزءًا مهمًا من دروس ألقاها إلياد في بوخارست وباريس وشيكاغو. ليست هذه الثلاثية تاريخًا للأديان « بالمعنى الكلاسيكي، التي من شأنها الالتحاق بالموسوعات المنشورة مذ مُستهل هذا القرن. تكمن أصالته هذا التصنيف في المنظور [الذي أتى به]⁽⁷⁴⁾. لقد تمكّن إلياد من استعراض مصادرٍ منهجيه التي تكلمنا عنها مَلِيًا. لم تفارق عينيه أبدًا الوحدة العميقة والمتأصرة لتاريخ

تخصّصًا [علميًا] لا يعتبر، من جهة كونه في الزمان والمكان تاريخًا كونيًا للأدب، أقلّ شمولًا سواءً بالمعنى العابر للتخصصات أو بالمعنى العالمي⁽⁷⁰⁾*(71).

لقد كرّس دوغلاس ألن Douglas Allen، في دراسته شديدة الأهمية المعنوية بـ **ميرسيا إلياد والظاهرة الدينية**، صفحات وافرة للمنظور التأويلي الإليادي ولمراميه وأسسِه قَدْرًا ما كرّسها أيضًا للمعترضات التي يطرحها [للمناقشة] في عالم مؤرخي الأديان⁽⁷²⁾. لا تُوجّه مُعترضات [هذا المنظور التأويلي الإليادي] مباشرةً إلى التأويلية الوصفية طالما أنّها مُكرّسة جوهريًا لدراسة الإنسان الديني الذي يحيا في ظروف تاريخية وثقافية ذات ميزة خاصة.

تتخذ التأويلية المعيارية نمط الكينونة داخل العالم موضوعًا لها. إنّها شديدة الصرامة في المواقف التي تتخذها إزاء بعض نماذج مقارنة الظاهرة الدينية: [من قبيل] الوضعية والتاريخية والوجودية والماركسية والاختزالية. تُفضي التأويلية المعيارية هذه إلى إناسة فلسفية. ما برح إلياد الإصرار على الجانب

(70) (*) Mais il porte aussi son regard sur la littérature et dès lors, comme l'a fort bien remarqué A. Marino, «l'histoire littéraire devient, à son tour, une discipline non moins totale, tant au sens interdisciplinaire qu'au sens universel, en tant qu'histoire universelle de la littéralité dans le temps et dans l'espace».

(71) Voir A. Marino, L'herméneutique..., p. 405-406.

(72) Les objections faites à Eliade concernent plus particulièrement les jugements de valeur à propos de la signification des phénomènes religieux. Voir D. Allen, Mircea Eliade et le phénomène religieux, p. 187-213.

(73) M. Eliade, Histoire des croyances et des idées religieuses, Paris, Payot, t. 1. De l'âge de la pierre aux mystères d'Eleusis, 1976, 492 p.; t. 2. De Gautama Bouddha au triomphe du christianisme, 1978, 519 p.; t. 3. De Mahomet à l'âge des Réformes, 1983, 361 p. Ces trois volumes sont traduits en anglais, en italien et en allemand.

(74) L'originalité de l'oeuvre réside dans la perspective.

تمثيلٍ لقنصٍ أولي^{(75)*}؛ أساطير متعلقة بنشوء الكون وأساطير الأصل. ستولد ثورة العصر الحجري الحديث ديناً حقيقياً كونياً يتمركز حول التجذد الدوري للعالم. إنها تحتوي على البذرات الأصلية لعلوم الكونيات والأخويات والخلاصيات التي هيمنت طوال ألفيتين على الشرق والعالم المتوسطي^{(76)*}. لقد استعرض الجزء الأكبر من المجلد (من ص 86 - 387ص) هاتين الألفيتين مُسلِّطاً الضوءَ قبل كل شيء على اللحظات الخلاقة لمُختلِف التقاليد الدينية كما المساهمات الكبرى في تاريخ الأفكار والمعتقدات. لقد كانت الغاية من الإصرار على المسارة الأليوسينية والطقوس الأورفية، في نهاية المجلد، استرعاء الانتباه إلى دور الأسرار في تشكُّل الفكر الأوروبي.

يَحْمِلُ الجزء الثاني عنواناً فرعيّاً: من غوتاما بوذا إلى الانتصار المسيحيّ. تصدى الكاتب، بعد فصلٍ مُكرِّس لأديان الصين، لموضوع مُفضَّل

(75)* représentations d'une chasse primordiale.

فضلت مفردة représentations في الجملة بالمعنيين الذي تحتملها وهما تمثيل محاكاةٍ لشيء ما أو تمثّل ذهنيّ لشيء ما و أظن أن الكاتب يقصدهما معاً؛ لأن الإنسان البدائي يقوم بمجموعة طقوس بموجبها يقوم بتمثّل قنص الحيوانات البرية ويعيد تمثيل ذلك القنص على مستوى القنص الإنسانيّ أي يحاول عبر طقوس معينة محاكاة سلوك الحيوان البري حينما يقنص فريسته بغاية القبض على روح الطريدة، ذلك أن مجتمعات الصيد كانت ترى تماثلاً بين البشر والحيوانات، لكنها كانت ترى أن الحيوانات تمتلك قوى خارقة و على الصيادين من البشر أن يتصالحوا معها وأن يستحوذوا على تلك القوى الخارقة عبر طقوس خاصة ابتغاء الظفر بأرزاقٍ ومحصولٍ ناجح. ينظر كتاب:

Bernard Marillier: Le cerf: symboles, mythes, traditions, héraldique, Editions Cheminements, 2007, p 17.

(76)* Elle porte en germes les cosmologies, les eschatologies et les messianismes qui vont dominer pendant deux millénaires l'Orient et le monde méditerranéen.

العقل البشري. ولقد أفرغ جُهدَهُ في الإلمام بالوحدة الروحية التي تسمحُ له ببلوغ فهم الإنسان الدينيّ مُتوسِّلاً بالأحوال الوجودية المتباينة طبّقاً للثقافات. تستجلي الدراسة المقارنة واسعة الانتشارٍ دلالة الهيروفانيات وقيمتها الرمزية قَدَرًا ما تستجلي أيضاً رسالة الإنسان الدينيّ.

يقتادُ المجلدُ الأولُ [من الثلاثية المذكورة آنفاً] القارئ من العصر الحجريّ إلى أسرار إيلوسيس. إنَّ الجزء الأكثر جِدَّةً في مسارِ البحث* لهو دراسة الإنسان الدينيّ على طول ألفيات ما قبل التاريخ. سمحتْ الدراسة المقارنة للوثائق الأثرية والأثار المتنوعة، التي تظهُر لأول وهلة مُبهمةً، للإياد برسَم الملامح الكبرى للصرح الدينيّ لحقبة ما قبل التاريخ وجعلته يلمحُ ظهورَ ونشأة الإنسان الدينيّ.

لقد اكتشفَ في فكر إنسان ما قبل التاريخ مُعطياتٍ قدَّرها يقينيةً: [من قبيل] دور الأدوات اليدوية في الأسطورة والحياة؛ المعتقدات والأساطير الخاصة بالتحكم في المسافة؛ الأساطير المتمفصلة حول الجراب؛ الرمزية الجنائزية؛ الرسومات الجدارية؛ تمثّلات وإعادات

من مُحمَّدٍ إلى عصرِ الإصلاحاتِ. ثم واصلَ إِيَادُ [سرد] تاريخَ الكنائسِ حتى عَصْرِ الأَنْوَارِ. وَكُرِّسَ القُصَلُ الرَّابِعُ لتاريخِ المعتقداتِ والأفكارِ والمؤسساتِ الدينيةِ في أوروبا ما بينَ القرنِ الرَّابِعِ عشرَ والقرنِ السَّابعِ عشرِ مُلِحًا بِخاصَّةٍ على الظواهرِ التي قُلِّلَ مِنْ شأنِها في غالبِ الأمرِ: أيُّ الهرطقاتِ، البدعِ، الأساطيرِ والممارساتِ الشعبيَّةِ، السحرِ، الخيمياءِ، [المذاهبِ] الباطنيةِ. لقد كانَ لهذا الشرحِ المُوسَّعِ وَقَفَّةٌ عُرِضَ فِيهَا الإسلامُ والصُوفِيَّاتُ الخاصَّةُ به. وقد سبقتهُ دراسةٌ مقارنةٌ لأديانِ أوراسيا القديمة: التركية-المنغولية، الفنلندية-المجرية، البلطيقية السلافية، بوصفها العالمِ المفضَّلَ للشامانية التي كُرِّسَ لها إِيَادُ كِتَابًا غدا عملاً تراثيًّا عتيقًا⁽⁸⁰⁾. اخْتِيَمَ المُجَلَّدُ بِفَضْلِ عَن اليهوديةِ مذ تَمَرَّدَ باركوكبا حتى حركةِ الحاسيديمِ وبِعَرَضِ الأديانِ التبتيةِ. للأسفِ الشديدِ ولدَّوأي الصِّحَّةِ أَرْجًا إِيَادُ تناوَلَ ازدهارِ الهندوسيةِ والفكرِ الدينيِّ للصينِ القروسطيةِ واليابانِ، ودراسةِ الأديانِ البدائيةِ الغابرةِ والتقليديةِ لأمريكا وإفريقيا وأوقيانوسيا، إلى حينِ كِتَابَةِ المُجَلَّدِ الأخيرِ الذي ما يزالُ من غيرِ طبعِ⁽⁸¹⁾. كَانِ مِنَ الزُّرُومِ فِي خاتمةِ المُجَلَّدِ الرَّابِعِ المرتقبِ أَنْ يَظْهَرَ أيضًا نفاشٌ حَوَّنَ الأزماتِ التي أثارها أساتذَةُ النزعةِ الاختزاليةِ

لديه آتٍ إليه مِرارًا وتكرارًا في غضونِ هذا المُجَلَّدِ، [إنه موضوعٌ]: البراهمانية والهندوسية اللتين وَهَبتا الحياةَ للفلسفاتِ الأولى ولتقنيَّاتِ الخلاصِ. وتمَّ استثناءُ وتطويرُ بزوغِ عقيدةِ الخلاصِ في رسالةِ بوذا. لقد توجَّسَ هذا الأخيرُ رُغْبًا من العُودِ الأبديِّ الذي ساقَ الإنسانَ إلى اكتشافِ غَبْطَةٍ ما يُسْتَعْلَقُ على القَوْلِ⁽⁷⁷⁾. لقد حَسِبَ إِيَادُ أَنْ بمكْنِيهِ أَنْ يتناولَ بإيجازٍ الديانةَ الرومانيةَ التي كُرِّسَ لها صديقُهُ دومزِيلُ إضبارَةُ هامةٌ⁽⁷⁸⁾. لكنَّهُ لَبِثَ مِلْيًا عِنْدَ الكلتيينِ والجرمانيينِ والتراقيينِ والقوطيينِ بوصفهمِ شعوبًا يُعْتَرُّ لديها على سَطْرِ من التراثِ الهندو-أوروبيِّ يتعدَّرُ إهمالُهُ وعلى حُضورِ فَعَالٍ لـ«خبراءِ المقدَّسِ». لقد شَدَّ عنصرانِ انتباهِ إِيَادُ: الدورُ العظيمُ للكهانِ لدى الكلتيينِ وأهميةُ طقوسِ الخلودِ⁽⁷⁹⁾ لدى القوطيينِ. ولقد ارتسمَ بمعيةِ أورفي وبيتاغور وأفلاطونِ عِلْمُ أُخْرُويَّاتٍ جديدٍ كانَ لَهُ على نحوِ جِلِّيِّ سَطْوَةٌ على الفكرِ المتوسَّطِيِّ. ولقد عَرَضَ أستاذُ شيكاغو، بعدَ وَصْفِ مَوْجِ للإبداعيةِ الدينيةِ في العصرِ الهيلينيِّ، التوجهاتِ الدينيةِ الإيرانيةِ في عهدِ الأشكيينِ، ثمَّ مضى إلى عرضِ ميلادِ المسيحيةِ التي أعلَّنتِ عن أفولِ الآلهةِ.

يَسْرِدُ المُجَلَّدُ الثالثُ، الذي ظَهَرَ لاحقًا بعدَ خمسةِ سنواتٍ، المسيرةَ الدينيةِ للإنسانيةِ

(80) M. Eliade, Le chamanisme et les techniques archaïques de l'extase, Paris, Payot, 1968, 2e éd.

(81) (*) A notre grand regret et pour des raisons de santé, M. Eliade a renvoyé à un dernier volume, encore inédit, l'épanouissement de l'hindouisme, la pensée religieuse de la Chine médiévale et du Japon, l'étude des religions archaïques et traditionnelles de l'Amérique, de l'Afrique, de l'Océanie.

(77) (*) Ce dernier est marqué par la terreur de l'éternel retour qui mène l'homme à la découverte de la béatitude de l'indicible.

(78) G. Dumézil, La religion romaine archaïque, Paris, Payot, 1966, 19742.

(79) (*) rituels d'immortalisation.

عشر التي توقعت دار النشر ماك ميلون من نيويورك ظهورها سنة 1986. ولقد تحمّل إلياد إلى حين موته مسؤوليةً وضائفه كرئيس تحرير لهذا المنشور المتقن.

ب 1348- لوفين - الجديدة

مركز تاريخ الأديان، طريق سيكلترون الثاني.



مذ ماركس ونيشه حتى فرويد، كما [كان من الاقتضاء أن تظهر] دراسة حول إسهامات الإنسانيّة والفينومينولوجية والتأويلية الجديدة في دراسة الإنسان الدينيّ. انتهى المُجَلَّدُ الثالثُ، على غرارِ المجلداتِ السابقة، ببيلوغرافيا نقدية مُسَهِّبة. كُرِّست من كتاب **تاريخ المعتقدات والأفكار الديني** 293 صفحةً من الملاحظات الفهرستية من مجموع 1372 صفحةً لتقرير الأوضاع الحالية للقضايا [المتناولة]^(82*). إنَّ هذا الصنيع لمُعَبِّرٌ ويبيّن أنّ ميرسيا إلياد كان يتمتعُ بوثائق مرجعية عظيمة قتلتها دُرْسًا ونقدًا واستيعابًا⁽⁸³⁾.

بالنسبة لمؤرخ الأديان يُعْتَبَرُ كتاب **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية** كتابًا تولى إلياد خليفًا بالنظر وأداة عملٍ ثمينة، وذلك بفضل وثائق ذات قيمة من الدرجة الأولى، وبفضل منظورٍ يتمحور حول المقدّس الذي يحياه الإنسان الدينيّ، وبفضل الانفتاح التي مارستها التأويلية الإليادية.

ستكونُ موسوعة الدين The Encyclopedia of Religion، التي شرَع في إنجازها بنفسه قبل عدة سنواتٍ، التتويج الحقيقيّ لأعمال إلياد. لقد كتب أربعَ عشرَ ألفَ متعاونٍ المجلدات الستة

(82*) Sur les 1372 pages de l'Histoire des croyances, 293 sont des notes bibliographiques consacrées à l'état des questions.

(83) En vue d'étudier le symbole et le mythe, M. Eliade et E. Jünger ont publié le périodique *Antaios*, Stuttgart, Klett (12 volumes, 1960-1971). Depuis 1961, paraît à Chicago *History of Religions. An International Journal for Comparative Historical Studies*, édité par M. Eliade, J. M. Kitagawa et Ch. H. Long.